الرسول صلى الله عليه وسلم بغليظ القول، فلم يكن معروفاً عن الرسول صلى الله عـــليه وسلم سهولة الاستثارة بمثل سخيف القول الذي ينسب إلى بني قينقاع بل على العكس من ذلك يعرف عنه الحلم والتسامح.

أما ما أضافه ابن عبد البر على لسان ابن إسحاق من أن الرسول صلى الله عـــليه وسلم حين عاد من بدر، ذهب إليه بنو قينقاع وقللوا من قيمة النصر الذي أحـــرزه على قريش وتهددوه وتوعدوه. فإن مثل هذا التصرف آخر ما يمكن فهمه بـــل قبوله، إذ لا يمكن منطقياً أن تذهب جماعة صغيرة من اليهود وتستدعي عداوة القـــائد المنتصـــر وتطلب منه المنازلة، فالقائد الذي قاد قلةّ من أصحابه إلى النصر الحاســـم على ما يقارب الألف من أعدائه ليس بعاجز عن منازلة من هم أقل منهم شأناً وأهون بأساً كبني قينقاع مثلاً.

أما رواية الواقدي الأولى فتذكر أنه لما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم، من بـــدر منتصراً، بغت اليهود وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهـــم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الإسلام وحذرهم مغبة ما حدث لقريش، ولكنهم استخفوا بذلك، وهددوا رسول الله، وحذروه من الصدام معهـــم،وأن العـــداوة بقيت بينهم كذلك ،مع نبذ العهد حتى حدثت حادثة المرأة المســـلمة في سوق بني قينقاع وما أسفر عنها من قتل اليهودي على يد المسلم وثأر اليهود لقتيلهم، وأنهم حاربوا وتحصنوا في حصنهم.

إن التأمل في هذه الرواية يبين أنه لم يُحدد المقصود باليهود الذين بغوا وقطعوا العهـــد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هم يهود المدينة عموماً أم يهود بني قيـــنقاع بوجه خاص؟ ثم هل يمكن عَدّ انتصار المسلمين في بدر مناسبة جيدة لأن يكشـــف اليهود عن قطعهم للعهد وغدرهم بالرسول ؟ إنه أمر يصعب قبوله، لو حدث هذا يوم أُحد مثلاً لأصبح أكثر قبولاً.